وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية-

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات أدب الهامش

محاضرات أدب الهامش

السنة الثالثة لغة مج 1

تقديم: الأستاذ/ عدنان.ف

تطرح اليوم قضية **الهامش** في العديد من المجالات الاجتماعية والسياسية والأدبية، ولعلّ هذه القضية كممارسة تعود إلى طبيعة الإنسان بحد ذاته بوصفه كائن يبحث عن الكمال في كل شيء، فأنتج عن هذا البحث نماذج مثالية يحتذى بها، وبما أن الوصول إلى هذه الحالة من الكمال والمثالية تتسم بالصعوبة، فقد أنتج هذا ثنائية (النجاح/الخسارة)، لتتجسد بهذا ثنائية أخرى والمتمثلة في ثنائية (المركز/الهامش) .

بمرور الوقت تجسدت هذه الثنائية خاصة في الأدب، واتسعت البؤرة الموجودة بين الأدب المركزي الرسمي، وبين الأدب الهامشي المعارض، ويتأكد هذا **" في سبعينيات القرن الماضي داخل نظرية الأنظمة المتعددة و سوسيولوجيا الحقل الأدبي .العلاقة بين المركز و المحيط هي علاقة الغالب**

بالمغلوب :أدب ينعت بأنه من المحيط، يتميز بتبعيته للمركز و بأنه يشكل" نظام – أدني " أقل حظوة .و المسافة بين المركز و المحيط هي زمنية و تتجلى عبر أنواع العجز عن المجاراة"[1].

مفهوم المركز:

إنّ أوّل استخدام لهذا المصطلح كان في بداية القرن التاسع عشر وتحديدا في فرنسا، وكان نتيجة ضغط الحكومة على المنظمات السياسية المحلية، ويعود أصله إلى علم الاجتماع فهو **" عملية أيكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة، وهي عادة ما تكزن مركزا لوسائل الاتصال والمواصلات"**[2].

ويظهر مصطلح المركز في شتى المجالات ليأخذ مفهوما سلطويا، بحيث يكون هو المسيطر على الأشياء، ويمكن أن نسقط نفس المفهوم على الأدب، ولكن قبل هذا وبالعودة إلى تاريخ الأدب يظهر مصطلح **الأدب المركزي** في كتابات العديد من الباحثين، بوصفه **" أدب يشتغل بحياة الترف التي يحياها الخاصة من الساسة ورجال الدين أحيانا"**[3].

إذ يشير هذا المفهوم إلى ذلك النوع الذي يهتم بشؤون الطبقات العليا من المجتمع كالطبقة المالكة، ومجموع رجال الدين والسياسة الموالين للسلطة فهو أدب البلاط، وهذا النوع من الأدب قد أصبح مع الوقت هو الأدب المثالي والممثل للفن، وأي خروج عن هذا المثال يعتبر خرق لقانون الفن آنذاك، وسينتمي حتما إلى ما يسمى بـ "**أدب الهامش**".

---

[1])– بول آرون –دينيس سان –جاك : –**معجم المصطلحات الأدبية**، ت، ص1029

[2])– ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 99.

[3])– سعادة لعلى، أدب الهامش، نغمة للغناء...وأخرى للبكاء، مقال منشور في ندوات المخبر، الموقع الالكتروني: www.labreception.net، تاريخ الانزال: فيفري 2011.

ولقد تجسد هذا الطرح منذ القرن الماضي بداية في أوروبا بزعامة باريس والتي تؤمن بفكرة عالمية الأدب، فأنتجت النموذج المركزي العالمي للأدب، والذي أصبح فيما بعد المؤسسة الرسمية للأدب أو **" بالجمهورية العالمية للآداب التي تضم مختلف الثروات الأدبية للشعوب، وعاصمة هذه الجمهورية أو السيدة الأولى على هذا المجال الأدبي العالمي هي باريس وينافسها على السيادة كل من برلين ولندن ، صاحبتي الآداب الكبرى"**[1]

في مفهوم الهامش:

يعتبر مصطلح " الهامش" من المصطلحات الأكثر تداولاً في الساحة النقدية المعاصرة، ويرجع ذلك إلى اهتمام النقاد والدارسين بالمنتوج الثقافي والشعبي والذي كان معزولا وبعيداً عن الدراسات النقدية والأدبية، وهذا الاهتمام فتح المجال أمام المنظرين للبحث في الصراع والذي خلّف هذا التمييز بين (المركز والهامش).

مفهوم الهامش:

لغةً: يُدرج ابن منظور في قاموس " لسان العرب" رأي ابن الأعرابي، والذي يرى أنّ: « الهَمْشُ و الهَمَشُ، كثرة الكلام والخَطَلِ في غير صواب، وأنشد: **وهَمِشوا بِكَلِمٍ غَيْرِ حَسَنْ»**[2] .

ومنه فالهامش هو الكلام غير المجدي والخاطئ.

---

[1])- منى محمد طلبة" :عالمية الأدب من منظور معاصر"، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت،ع2 :، مجلد 33 ، أكتوبر-ديسمبر 2001 ، ص162.

[2])- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 4700.

أمّا في المعجم الوسيط فنجد أنّ « الهامش: حاشية الكتاب، وفلان يعيش على الهامش: لم يدخل في زحمة الناس» [1].ويقصد به هنا كلّ كلام خارج المتن، أو ذلك الكلام الذي يوضع على حافة الكتاب قصد التوسع أو الشرح.

اصطلاحاً: يرى أغلب الباحثين أنّ هناك عدّة أبعاد ممكنة للتهميش فيمكن أن تحمل بعداً اقتصادياً أو سياسيا أو اجتماعياً أو ثقافياً أو رمزياً، ونجد أنّ مصطلح **" الهامشي"** يحمل مفهوماً أكثر دقة وهو ما نجده في" معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع" والذي يذكر أنّه **" في بواكير القرن العشرين صارت " الهامشي" تُستخدم لتدل على فرد أو جماعة اجتماعية، معزولة أو لا تتواءم مع المجتمع أو الثقافة المهيمنة؛ (ويُنظر إليها باعتبارها توجد) على حافة المجتمع أو الوحدة الاجتماعية؛ وتنتمي إلى جماعة أقلية(غالباً ما تنطوي على مضامين الاستغناء وعدم الانتفاع)"[2].**

فالعزلة وعدم التواؤم مع المجتمع أو الثقافة المهيمنة وبالتالي التهميش هو ما أدى إلى ظهور النقد الثقافي كمنهج يهتم بكل ما يقع ضمن دائرة " الهامشي"، ليعلن بهذا عن بداية الصراع بين النخبة والتي سيطرت على " الكلمة" بوصفها الناطق الرسمي للمجتمع، وبين " الجماهير" أو ما يسمى ب: " الهامشي" بوصفه الصاعد الجديد والذي يحاول الهيمنة على كلِّ " المركزيات"، فهو **كلّ أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية"[3]**

---

[1])- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 04، مصر، 2004، ص 994.

[2])- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2010،ص 697.

[3])- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، دط، ص 55.

من بين هذه المؤسسات المشار إليها سابقا نجد المؤسسة الأدبية، فهي التي تسير شؤون الأدب وفق قوانين صارمة توجب المبدعين التقيّد بها، وبالتالي فإنّ أي خروج أو خرق لهذه القوانين يضع المبدع في خانة المغضوب عليهم، كما يضع إبداعه ضمن الآداب المرفوضة والمهمّشة. ومنه فقد أصبح أدب الهامش يحمل أبعادا مختلفة هي الرفض والضدية، والهامشية، ولقد ظهرت تسمية **Paralittérature في قاموس La Rousse**، والتي تعني الأدب الموازي.

(الصراع: ثقافة النخبة/ثقافة الجماهير):

في حديثه عن الصراع بين ثقافة النخبة وثقافة العامة، حول إشكالية المفاضلة بين الثقافتين، يرى الباحث " جمال العيفة" في كتابه " ثقافة الجماهير": **" في الوقت الذي يرى أنصار الثقافة النخبوية بقيادة مدرسة فرانكفورت وروادها على وجه الخصوص (...) أن تكون لها الريادة، يرى فريق آخر أنّ الثقافة الجماهيرية التي يعتبرها الفريق الأوّل " دخيلة" هي تطور طبيعي للمجتمعات المعاصرة(...)، باعتبارها ثقافة المتوسط من الناس الذين لا يفهمون تعقيدات الثقافة النخبوية التي يعتبرونها نوعاً من الترف الفكري المحض".**[1]

تبيّن لنا هذه المقولة الصراع القائم بين فريقين يمثل الأوّل ثقافة النخبة والمركز، بينما يمثل الثاني ثقافة الجمهور والهامش، ولعلّ هذا الصراع ليس وليد اليوم بينما تضرب جذوره في التاريخ الأدبي والفنّي، ومنه يمكننا استخلاص أنواع هذا الصراع وفق معادلة (المركز/الهامش).

[1])- جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية، ص 07، 08.